

ظاهرة الشعراء المصراير/ 1



كم هو محزن هذا الكائن اللّغويّ المسمّى "الشّعر"، يتزاحم على أبوابه كلّ متطفّل "غريب الوجه واليد واللسان"، حتّى غدا عدد الشعراء أكثر من عدد المصراير. أتأمّل حالنا نحن الذين كنّا نشارك في الأمسيات الشعريّة، كثيرين كنّا، لكنّنا لم نكن شعراء، كلّ واحد منّا كان يحرص على أن يصطحب معه صديقه، ويتوسل إلى آخرين كي يحضروه، وإذا لم يأت هؤلاء الآخرون، يبدأ مسلسل العتاب و"الجرد الثّقافي" الأزعر. وعندما كانوا يحضرون، إن أسعفنا الحظّ وكان عدد الجمهور مساويا لعدد الشعراء المشاركين أو أقل قليلا، كانوا يتلهّون بمكالماتهم وجوّ الاتهم، وإن سكنت التّكنولوجيا، تراهم يغيبون في أحاديث جانبيّة، بالتّأكيد كانت ساخرة من مجموعة المصراير المصائيّة في خراب العالم المنهار.

الآن أدركت احترام الشعراء لشعرهم، وكيّنوناتهم الإنسانيّة أوّلا، وأتفهّم جيّدا رفضهم مشاركة المصراير حفلات الاحتباس اللّغوي، كانوا يحصّنون أنفسهم ضدّ السّخرية والتّردّي والانصياع لظاهرة "المصّصرة" المتزاحمة على معمعان الأصوات المبهمة في مهرجانات اللا كلام.

لم تكن ظاهرة الشعراء المصراير لتظهر لولا هؤلاء المدّعين شعرا، لقد أفسدوا بظاهرتهم متعة أن تكون "شاعرا محترما"، أنظر إلى احتجاب الشعراء الكبار في صوامع جماليّاتهم الزّاهية الّتي تزداد نصاعة يوما بعد يوم، كلّما تعمّقوا في ذواتهم، واستمعوا إلى دقّات قلوبهم الصّافية، وهي تتلقّى الوحي شعرا إلهيّا يتسرّب إلى كل خليّة في أفكارهم، فتتولد القصائد كائنات نورانيّة لا تشبه إلا نفسها. فيزهر الكون جمالا رائقا، ويتحول الكون إلى جمهور صامت يستمع برهافة إلى ذلك النّور الرّاشح في كلّ صورة أو معنى، فيغيب عن الوعي البشريّ "المصّصوريّ" ليرتوي من عذب الرّوح الرّبانيّة المتجلّية في كلّ جملة.

كلّ شيء فاسد هذه الأيّام، لأنّ الشّععر فاسد، إنّه مصنّع في عُلّاب من البلاستيك والنّيكّل والنّحاس والحديد المصدّئ، معالج بالأصباغ واللّغة الجاهزة، تنظر إليه وفيه، لا تجد شيئا، تحاول أن

تتذوّقه لا طعم له، تفوح منه رائحة، تشبه رائحة صرصور "مفعوس". أتذكر هذه الرائحة وأنا كنت طفلاً، عندما كنت "أجرم" بصرصور بريء متسلّلاً إلى غرفتنا الوحيدة، لأراه بعد قليل وقت وقد تجمّعت عليه أسراب من "الذّر"، إن هذا هو حال شعرنا اليوم، شاعر صرصورىّ "مفعوس" تتكالب على رائحته الذّتنة أسراب من صغار الذّمّل.

أبشّركم، وأبشّر نفسي، وأبشّر كلّ صرصور مزهوّ بنفسه، أن الطّاهرة مستمرّة، بل ستنتعش أكثر وأكثر، فقد صارت الصّراصير أكثر تكاثراً، وعلا صوتها، وتهيّأت أسراب الذّر لتنش هياكلها لتتركها شبه قوقعة، سرعان ما يتهاوى ما بقي من قوقعتها، ولا تستطيع المقاومة. فظاهرة الشّعراء الصّراصير في ازدهار، وتعيش حدائيتها في أبهى صورها، تعرّش في كل اتجاه وتفخر أنها تنتسب إلى هذا المحفل العظيم من الشّعر الصّرصورىّ في أكمل صورة متطوّرة حداثيّة لا تعرف غير الصّأصة في اللّيليّ الحالكة.

ظاهرة تستحقّ العناية والدّراسة؛ فهي حالة نادرة لم تمرّ بها البشريّة منذ أقدم عصورها البدائيّة، وحتّى الآن، ظاهرة نقدية بكر، سيكون لها مآلها المحمول على أكتاف العرّافين الكاذبين، والدّجّالين من الإعلاميين البررة، والأنبياء الغارقين المحتالين، والذّاشرين المدهشين، المستقيمين على الجادّة العرجاء وسط متاهة ألعاب الفيديو بأيدي أطفال صغار، ما زالوا يتدرّبون على الاستماع إلى أصوات الصّراصير كلّما امتنع الذّموم عن أن يداعب عيونهم الباحثة عن الهدوء. لكنّهم لا يعرفون أنّ ثمّة جوقه من الصّراصير أكبر حجماً وأشدّ تفاهة سيصدمهم صوتها ويصطدمون بها في كلّ ناحية من كتاب أو برنامج تلفزيونيّ أو مجلّة أطفال، وتحوّلهم إلى كائنات لا تعي، ولا تستطيع أن تنام إلا وهي معبّأة الكيان بهذه الطّاهرة العجيبة، ظاهرة الشّعر الصّرصورىّ. فلتفرحي يا أسراب "الذّر"، فتهيّئي، فإنّ موائدك وفيرة!